جيوسياسة الإعلام والأمن المجتمعي العربي في زمن العولمة الإعلامية

Geopolitics of Media & Arab Societal Security in the era of Globalization

سفيان بلمادي ***BELMADI sofiane***

جامعة علي لونيسي، البليدة2، الجزائر، sofianebel189@hotmail.com

حنان بوطوالة ***BOUTOUALA hanane***

جامعة علي لونيسي، البليدة2، الجزائر، dsp.blida2@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2023/01/04 **تاريخ القبول:** 2023/02/25 **تاريخ النشر:** 2023/04/01

ملخص:

تهدف هذه الدراسة في إطارها الجيوسياسي إلى التعرف على أثر الإعلام في تهديد الأمن المجتمعي في العالم العربي، الذي يشهد عدة تحديات أمنية ألقت بظلالها على مختلف القطاعات الثقافية، الفكرية، الاقتصادية والسياسية من جهة، ومن جهة أخرى تتمثل هذه التهديدات في التهميش اللغوي والانحراف الفكري والقيمي وانتشار الجريمة وانتهاء بالتأثير على صنع القرار السياسي، خاصة بعد بروز الإعلام الجديد والمجتمع الرقمي والتطورات والتحولات العلمية التقنية التي يشهدها العالم في زمن العولمة، وكنتيجة عن ذلك، تلاشت الحدود الجغرافية بين الدول باختراق وسائل الإعلام لها، بحيث لم تعد لا الحكومات ولا الدول قادرة على ضبط وسيطرة هذا التوسع ما جعل امنها الاقتصادي والسياسي والمسار التنموي في حالة خطر. وهذا ما تسعى الدراسة إلى إثباته من خلال ما توصلت إليه بأن وسائل الإعلام المعولم تؤدي دورا يؤثر بالسلب على المجتمع، إذ ما وظف بطريقة سلبية، حيث يستعملها الغرب كأداة لتوظيف أفكاره داخل المجتمعات العربية الإسلامية.

الكلمات المفتاحية: جيوبوليتيك؛ الأمن المجتمعي؛ الإعلام؛ العولمة؛ الأمن العربي.

Abstract:

The study aims, in its geopolitical context, to identify the impact of the media on the threat to societal security in the Arab world, which is witnessing several security challenges that cast a shadow over the various cultural, intellectual, economic and political sectors on the one hand. Crime and ending in influencing political decision-making, and as a result, the geographical borders between countries have disappeared with the penetration of the media, so that countries are no longer able to control this expansion, which made their security threatened. This is what the study seeks to prove.

Keywords: *Geopolitics; Societal security; media; globalization; Arab security.*

* **المؤلف المرسل: بلمادي سفيان، sofianebel189@hotmail.com**

مقدمة:

يعد الأمن المجتمعي في العالم العربي من أبرز التحديات التي تواجهها في الآونة الأخيرة وتتعدد مكونات الأمن فهي سياسة واجتماعية واقتصادية وثقافية تشكل رؤية فكرية لتحويل الإهتمام من حماية سلامة الدولة فقط إلى حماية الخصوصية القيمية لمواطنيها، كما أصبحت الدراسات الأمنية تركز على تهديدات مختلفة عن الماضي، وهذا راجع لعدة عوامل من أبرزها العولمة، التي أظهرت نوع جديد من الحروب، حرب الأفكار، كما أصبح الإعلام الجزء الأخطر فيها وسلاحها الفتاك، وفي ظل التحولات الجذرية التي يشهدها عالم اليوم، ظهرت العديد من التحديات الجديدة والأزمات الخطيرة تهدد الوحدة الوطنية لدول العالم العربي بالانهيار وتؤثر على أمن المجتمع الفكري والأخلاقي والثقافي والسياسي، ومن ثم تجره نحو سلوكيات منحرفة وعادات ناشزة عن القيم الوطنية وآدابها، و بتفاعل فئات المجتمع معها خاصة فئة الشباب والمراهقين، دون إدراك لعواقبها ومخاطرها، و هذا ما ولد أنواعا جديدة من التهديدات.

أهمية الدراسة:

تظهر أهمية الدراسة في تركيزها بالبحث عن تأثير الإعلام المعولم على الأمن المجتمعي العربي، ومدعاته لصناعة هويات جديدة على المجتمعات العربية.

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى محاولة التعرف على تأثير وسائل الإعلام بمختلف أشكاله على الأمن المجتمعي في العالم العربي.

إشكالية الدراسة:

ما هي تحديات وتهديدات الأمن المجتمعي العربي في ظل الإعلام المعولم؟

1. أثر جيوسياسية الإعلام على قيم ومكتسبات المجتمعات العربية

يقول والتر ليبمان على أن الأمن هو "حفاظ الأمة على قيمها الأساسية وأن تكون قادرة على صيانة هذه القيم حتى وإن دخلت في حالة حرب للحفاظ عليها". إن قوة المجتمعات وضعفها تتحدد بمكتسباتها القيمية والخلقية والفكرية، فهي الأسس والموجهات السلوكية التي يبنى عليها تقدم المجتمعات ورقيه من أفكار ومهارات اجتماعية ولغوية وأخلاقية ودينية، وتشكل هذه القيم محورا رئيسيا من ثقافة المجتمع التي تعكس أنماط السلوك الإنساني الممارس فيه. (نواصرية 2019، ص.ص 87-86) ولوسائل الإعلام مكانة لا يستهان بها في حياة المجتمع المعاصر، ولها أثر كبير على المجتمع وعلى بناء المفاهيم والأخلاق والقيم فيه.

يعرف "باري بوزان" الأمن المجتمعي على أنه استمرار في ظل شروط مقبولة للتطور، أنماط تقليدية للغة والثقافة، وكذا للهوية والممارسات الوطنية والدينية لمجتمع من المجتمعات، ويعرفه "أولي ويفر" بأنه قدرة مجتمع على حماية هويته في مواجهة تهديدات كامنة أو حقيقية.

إن ايدلوجيا الاختراق الثقافي يقوم على نشر وتكريس جملة من الأوهام التي تترك المجتمعات تسير في نوع من الثقة المغلوطة، التي تهدف إلى إلغاء الهوية المجتمعية ليبقى الإطار العالمي العولمي هو وحده الموجود، كما إنه باسم الحرية يكرس النزعة الأنانية ويعمل على طمس الروح الجماعية، سواء كانت على صورة الوعي

القومي أو الشعور الإنساني، ما يدفع بالأمور خطوة أخرى في الاتجاه نحو التطبيع مع الهيمنة والاستسلام إحالة التبعية الحضارية ما ينتج حالة فقدان الشعور بالانتماء للوطن، أو أمة أو دولة وبالتالي إفراغ الهوية الثقافية من كل محتوى.

يقول رودلف كلين على أن الدولة كائن عاقل له قدرة أخلاقية وذهنية، فالدولة في توسعها وسعيها إلى السلطة توظف ما لديها من تقنيات حضارية للوصول إلى الأهداف المرجوة. فقد اتفق مع "راتزل" في أن الهدف النهائي من نمو الدولة بحيث أنها تسعى لتحقيق القوة، وأنها في سعيها لتحقيقها عليها أن تستعين بالتقدم الحضاري والثقافي، وقرر أن الدولة تتكون من خمسة أعضاء هي: الحكومة، السكان، الأحوال الاجتماعية، المركب الطبيعي، والمركب الاقتصادي، وأن أهم عنصر فيها هو القوة، من بين المبادئ التي يستند إليها القانون الطبيعي هو "حتمية النمو البيولوجي للدول"، الذي سيؤدي إلى احتكاك الدولة مع غيرها، مما يولد النزاع الذي لا ينتهي إلا بانتهاء الدولة الأضعف. وهنا يأتي دور الإعلام الذي يمثل السلاح الحضاري والثقافي للتأثير على الآخر حيث يظهر جليا القوة الناعمة للدول من خلال قوتها المعرفية باستخدامها للتكنولوجيا للتأثير وبسط النفوذ ثقافيا وفكريا ودينيا وقيميا.

2. جيوسياسية الإعلام والقيم الأخلاقية في العالم العربي:

يؤثر الإعلام بوسائله المتعددة في أفكار الإنسان وقيمه وأخلاقه وتصرفاته أيضا، فلهذه الوسائل الإعلامية قدرة سحرية على التأثير في اللاوعي لدى الناس وزرع الأفكار التي تطرحها في سلوكياتهم اليومية، كما أنها تغير وجهة نظرهم في العالم الذي حولهم، وقد تقوم بعملية استبدال كامل للقيم وزرع أخرى بدلا منها من خلال تكوين صور نمطية ذهنية حول الكثير من الموضوعات، ولا شك أن الهدف الأساسي من هذا التأثير هو البناء والإصلاح والمساهمة في غرس القيم الأخلاقية الحسنة، ولكن قد يكون لها التأثير العكسي أحيانا فتسبب آثارا مدمرة للمنظومة القيمية في المجتمع، وهذا يحدث عندما تختار وسائل الإعلام نماذج تريد للناس أن تتخذ منها قدوة يحتذى بها، وأكثر فئات المجتمع تأثرا بهذه القدوات هم الشباب الذي هم في سن المراهقة، فمن السهل التحكم بهم وتغيير قيمهم من خلال طرحها في تصرفات القدوة، فتنشأ ظاهرة التقليد الأعمى من دون التمييز بين القيم الصحيحة والسليمة وبين الاختيارات الخاطئة والأفعال المشينة، ويختلط المرفوض بالمقبول سواء أكان دينيا أو مجتمعيا، فقد تصبح السلوكيات والقيم الخاطئة مقبولة ومنتشرة في المجتمع، وهذا دليل على الأثر الرهيب التي قد تتركه وسائل الإعلام في القيم الأخلاقية في أي مجتمع.

ومن أهم القيم الأخلاقية هي ما يخص العنف والجريمة، فقد كانت نتيجة الدراسات العديدة في هذا الشأن أن هناك صلة وثيقة بين ما تقدمه وسائل الإعلام في هذا الأمر وبين تأثيره على الناس التي تقوم بمشاهدته، كما تم التأكيد أيضا أن الأخبار التي تبث الحروب والقتال وأخبار حوادث الانتحار، وكذلك أفلام الجريمة والرعب لها الدور الكبير في زرع المشاعر السلبية في داخل المشاهد، كما أن الأفلام المصنفة من فئة الحركية (Action) التي تتحدث عن المحاربة بين أبطالها لها دور كبير في خراب المنظومة الأخلاقية والتشجيع على الجريمة والعنف، كما أنه من الآثار السلبية للإعلام على القيم الأخلاقية هي نشر الانحلال الأخلاقي بانتشار الكثير من المواقع الإلكترونية والمحطات التلفازية التي بثت الإباحية في المجتمعات، مثال على ذلك المسلسلات المدبلجة المكسيكية و التركية التي تبثها القنوات الوطنية العربية ولها صدى كبير، وجعلت منها سهلة المنال،

فبدأت نسب الخيانة الزوجية بالارتفاع مما زاد في نسب الطلاق، كما أنها كانت السبب في زيادة نسبة حالات التحرش والقتل والاغتصاب.

تلعب الوسائل الإعلامية بكافة أشكالها دور جيوسياسي كبير في التأثير على القيم الأخلاقية للمجتمعات، كما سعت إلى رفع مستويات القيم الأخلاقية لدى معظم المجتمعات وخاصة المجتمعات الصناعية المتطورة، بالإضافة إلى دورها الكبير في التأثير على الأفكار المتكونة لدى الإنسان، تصرفاته وأخلاقه.

وعليه فإن الوسائل الإعلامية تسعى إلى التأثير اللاوعي في كافة أفراد المجتمع المحلي ومن ثم تسعى إلى تسليط الضوء على مجموعة من الأفكار التي ترغب بطرحها وبعدها تقوم بزراعتها في عقول المجتمعات، بحيث تكون هذه الأفكار مرتبطة بشكل وثيق في سلوكيات الحياة اليومية إضافة إلى أنها تمتلك القدرة الكافية من أجل استبدال كافة القيم الموجودة لدى المجتمع، ويكون بذلك السلاح الأكثر فتكا في تفكيك النسيج المجتمعي وسلخه من قيمه، ما يهدد الدول في ضمان استمراريتها.

إن عملية الضغط على غرس القيم الأخلاقية والتي لا تناسب مجتمع بينما هي متناسقة مع مجتمع آخر؛ بحيث يرجع السبب وراء ذلك هو أن عملية الضغط تولد آثار تسعى إلى تدمير القيم الأخلاقية الأخرى لدى المجتمعات، بالإضافة إلى المنظومة الإعلامية التي تركز على الفئات المستهدفة والتي بدورها تسعى إلى رفع مستويات القيم الأخلاقية للأجيال القادمة. ومن أهم القيم الأخلاقية التي يتم تسليط الضوء عليها من قبل المؤسسات الإعلامية هي الجريمة، العنف، الانتحار وقضايا الطلاق، وذلك من أجل ارتباطها في العقود الأخيرة في الوسائل الإعلامية وكثرة حوادثها وتناولها، واليوم نجد الرسائل الموجهة حول الحريات الفردية العقدية وحرية المرأة المزيفة باتت الأكثر تركيزا، كون هذا المجال يعتبر الأكثر حساسية والأكثر فتكا، وهذا ما نلاحظه في تحريك صناع القرار والمنظومات السياسية إلى التوجه إلى تغيير أو إضافة مواد في دساتيرها ومنظومات قوانينها تحفظ وتحمي هذه التوجهات المستحدثة الهدامة في المجتمعات العربية والإسلامية، كما تعتبر ظاهرة التقليد الأعمى من أكثر الظواهر التي أثرت بشكل كبير على عادات، قيم وأخلاق المجتمعات. ويرى راتزل أن دولة عليها أن تتوسع، وعند الرجوع لقانونه الأول من القوانين السبع للتوسع، فهو يقول أن الدول تتوسع وفقا لنمو ثقافتها و تطوره، و هنا يجب التوقف عند مصطلح الغزو الثقافي.

الغزو الثقافي أو الفكري هو مجموعة الجهود التي تقوم بها أمة من الأمم للاستيلاء على أمة أخرى أو التأثير عليها، واعتبر الكثير من القادة والمفكرين أن الغزو الثقافي الذي يقوده الغرب ضد الأمم الأخرى وخاصة تجاه العالم العربي الإسلامي اخطر من الغزو العسكري التي تستخدم فيه القوة والنار، فضرباته ليس لها صوت واثره بالغ، و تكون نتيجة أن هذه الأمة تصبح مريضة الفكر والإحساس، وهو داء العضال يفتك الأمم بشخصيتها و يزيل معاني الأصالة و القوة فيها، و يعود تاريخ الغزو الثقافي للأمم إلى عدة قرون مضت مرادف مع الاستعمار أو ظاهر مع الاستعمار، وعندما فشل الاستعمار باحتلال أمة أو دولة بشكل مباشر فإنه يقوم باستهداف عقول و ثقافة بناء الأمة التي منعت تمدده، عمد العرب على استخدام الكثير من الوسائل من اجل ترويج أفكاره و غزوه للمجتمع وخاصة الإسلامية منها واستهداف ثقافتها منها، ومن أجل نجاح عملية الغزو الثقافي عمد الغرب التدخل في الحياة العامة للكثير من الدول الإسلامية عبر أنشاء الجامعات والمدارس الغربية في بلاد المسلمين ودور الحضانات. والأسوأ من ذلك السيطرة على مناهج التعليم في بلاد المسلمين ورسم

لسياستها أم بشكل مباشر كما حصل في بعض بلاد الإسلام. وقد أصبح يهدد الأمن القومي لهذه الدول الإسلامية.

لقد عبر ابن خلدون عن فكرة القومية بفكرة العصبية. وعناصر القومية لدى أغلب مفكري القومية العرب هي الأرض المشتركة، والتاريخ، والثقافة المشتركة، والمصالح المشتركة، أما قضية بناء الدولة القومية، فهناك رأيان حول علاقة القومية بالدولة، الأول يرى أن الدولة تجسيد لمعنى القومية. والرأي الثاني يفصل بين القومية والدولة القومية. ويرجع ذلك إلى أن القومية كيان اجتماعي تتوافر فيه المقومات الأساسية السابقة، ومن **الطبيعي أن يتجه ذلك الكيان إلى** إنشاء نظام سياسي يصبح وعاء له، إلا أن ذلك لم يحدث دائما بالضرورة في كل القوميات، فهناك قومية مجزأة أو مستوعبة بجانب أخرى في دولة واحدة، وهناك قومية بلا دولة. فالقومية تنتمي إلى طائفة من الظواهر التي تتعلق بعملية تحديد هوية أو انتماء جماعات من الناس، وتتمايز عملية تكوين الهوية أو الانتماء إلى مستويين: ذاتي وموضوعي، يشير المستوى الذاتي إلى اللغة والتاريخ والمصالح المشتركة، ويشير المستوى الموضوعي إلى الإقليم السياسي ونظام الدولة، وعندئذ تنشأ الدولة القومية، تعبيرا عن كيان اجتماعي تجسد في وعاء سياسي هو الدولة، حيث تعتبر التهديدات المجتمعية مجموعة التهديدات التي تمس قيم المجتمع المكتسبة، وتهدد هويته وشخصيته الوطنية، وترتبط هذه التهديدات بمدى قدرة الدولة على الثبات والحفاظ على سماته الأساسية أمام التهديدات الحقيقية أو المحتملة.

3. دور جيوسياسية الإعلام في التنشئة الدينية

يقول "مالك بن نبي" عن المجتمع أنه: تجمع أفراد ذوي عادات متحدة، يعيشون في ظل قوانين واحدة، ولهم فيما بينهم مصالح مشتركة. (نبي 1986، ص. 39)، يتكلم "بن نبي" على أن المجتمع تربطه عادات وثقافات وقيم دينية توحده وتجعل منه مجتمع متماسك، ومن أهم هذه الميزات هي الدين. (سفيان 2020، ص. 696)، وتعتبر وسائل الإعلام من الوسائط الأساسية التي تساهم بصورة مباشرة أو غير مباشرة في عملية التنشئة الدينية، فقد ساهمت في تنمية الوعي الديني لدى أفراد المجتمع، ذلك لما للدين من أهمية في الحياة الاجتماعية، كما تعمل على تكريس العقيدة الإسلامية وتثبيتها والحفاظ عليها من الانحرافات والشبهات داخل المجتمعات الإسلامية (لغرس 2019، ص.ص5-9)

لكن الإعلام سلاح ذو حدين، فبخصوص المكون العقدي للهوية، فإنه يتضرر كثيرا بفعل ما يبثه هذا الإعلام من تشويه صريح وواضح ومقصود للدين الإسلامي وعباداته ومعتقداته وثقافته، ما يؤدي إلى زعزعة عقيدة الشباب المسلم، والتشكيك في صحتها، والتنقيص من قيمتها، فتكونت في ذهنه صورة قاتمة في غاية السوء عن أهم مكونين للهوية وهما الدين والتراث، وهو ما يؤدي إلى ازدراء الذات وتحقيرها، وانسلاخ الشباب من مقومات هويتهم والارتباط بجماعات أخرى تحمل ثقافات مضادة، والتفاعل معها وتبني مكونات هويتها، واتخاذها جماعات مرجعية في الثقافة والسلوك، يستمد منها قيمه، ويتبادل وإياها التعاطف والتأييد، وهو ما يكسبه هوية أخرى بديلة، لا تجد أي سند في وسطه الاجتماعي. (يحياوي، 2022، ص.ص 6-7)

في ظل الإعلام الجديد، يبذل خصوم الإسلام عدة استراتيجيات وحملات منظمة بغية تشويه المرجعيات الإسلامية وضربها، وهي تعتمد الربط الشرطي بين علماء الإسلام وبين مسائل مكروهة عند الناس، كالإرهاب والتكفير والدماء واحتقار المرأة، وعدم المساواة بين الناس، وغيرها. ونشهد في هذا الصدد كثافة الحملات المغرضة على علماء المسلمين، والمقصود ليس العالم ذاته، وإنما من خلاله يتم هدم المرجعية الدينية،

ومن ثم سهولة اختراق عقول المسلمين وتوجيههم إلى أفكار بعيدة عن الأديان كالإلحاد والعلمانية الشمولية وغيرها.

ومواقع التواصل الاجتماعي تعتبر ساحة لهذه الحملات، فوجود التيارات المتطرفة الغارقة بالتكفير وإزهاق الأرواح وتفجير الآمنين والممتلكات، وما يصاحب ذلك من سهولة عرض تلك الجرائم عبر الوسائط **الإعلامية**، تأتي حركة التشويه المتعمدة بربط هذه الجماعات والتيارات بالسلفية تارة، وبالسنة تارة، وببعض العلماء تارة أخرى، فيجدون من يتلقف تلك الدعوات ويقتنع بها ثم يصاب بردة فعل عكسية تجاه الدين وعلمائه وتاريخه، فخصوم الإسلام يوظفون بشكل خبيث كلام العلماء ويجتزئون نصوص التراث ويوردون نصوصا أصولية في غير سياقها لأجل زعزعة عقيدة المسلم وضرب المكون العقدي في الهوية. (عثمان 2022، ص.ص 14-15)

حسب النظرية البنائية فإن الهويات تشير إلى من "نحن" ومن "هم الآخرون" والمصالح تشير إلى "ماذا يفعلون"، فالمصالح تعني الحاجات والرغبات التي تسعى الدول إلى تحقيقها، فالغرب يرى أن المجتمعات الإسلامية هي عنصر خطر عليها ورمز للتخلف وهذا ما يتم نشره على أوسع نطاق في الإعلام حيث يعمل على نشر أفكاره الدخيلة المضادة للقيم الدينية الإسلامية، حيث يعمل على تشويه الإسلام وتوغل الأفكار الغربية داخل المجتمعات الإسلامية من خلال العمل على غزو العقول بالأفكار المغلوطة عن الإسلام، ومثال على ذلك يستعمل الغرب دائما أحداث 11 سبتمبر كذريعة على أن الإسلام هو دين عنف وتخلف وهذا من خلال مسلسلاته وأفلامه التي دائما ما تمجد الغرب وتدنس الإسلام وتظهره بمظهر الإرهاب. يعمل الغرب على فكرة غزو العقول من خلال إحداث شرخ ثقافي وديني داخل المجتمع العربي الإسلامي وهذا للعمل على تسهيل عملية اختراق المجتمعات التي تعمل مستقبلا في زيادة الولاء للفرد للأفكار الغربية.

يقول ردولف كلين أن الجيوبوليتيك هو علم دراسة الوحدة السياسية في إطار بيئتها الجغرافية أو البيئة الطبيعية للدولة والسلوك السياسي. إذن فإن جيوبوليتيك الإعلام هو إضافة عنصر ومحدد الإعلام أي تحليل التأثيرات الإعلامية على علاقات القوة في العلاقات الدولية من ناحية الأمن المجتمعي للدولة. إن جيوبوليتيك الإعلام يعبر عن وسيلة لرؤية العالم، فهي في أساسها خطة للمستقبل السياسي لدولة ما.

"التاريخ الإنساني هو تاريخ الحضارات." (هيتينغتون 1999، ص.ص 67) لقد جلب "صامويل هنتنغتون" نظرة جديدة إلى النقاشات في هذا المضمون، قال بأن المصادر الأساسية حول للنزاع سوف تكون في المستقبل من الناحية الثقافية، فالصدام بين الحضارات من شأنه تحديد السياسات العالمية، وأن خطوط الصدع بين الحضارات ستكون خطوط المعركة، فطرح أفكاره أول مرة في مقال "صراع الحضارات" عام 1993، ثم تحول إلى كتاب سنة 1996 بـ "صدام الحضارات وإعادة صناعة النظام الدولي. حسب "هنتنغتون" تعتبر الحضارة هي الكيان الثقافي الأكثر سعة وهي أساس الوجود الإنساني، من خلال الشعور بانتمائه لحضارة تميزه عن الآخرين، يرى بأن العنصر الأساسي لتكون الحضارة هو الدين.

حدد هنتنغتون الحضارات الرئيسية التي ستشكل السياسة في المستقبل وهي الحضارة الإسلامية، الحضارة الصينية، الحضارة اليابانية، الحضارة الهندية، الحضارة الغربية، الحضارة الأمريكية، الحضارة الأرثوذكسية والحضارة الإفريقية. إن الحضارة الإسلامية يرى أنها تضم حضارات فرعية مرتبطة كلها بالإسلام عربية، تركية، فارسية وماليزية. وهنا يسأل: لماذا سوف تتصادم الحضارات؟ يقول "هنتنغتون": أن

الاختلافات بين الحضارات أساسي، يتم التمييز الحضارات والناس المختلفين عن بعضهم البعض من خلال التاريخ واللغة والثقافة والتقاليد والدين، ثانيا بينما يصبح العالم مكانا أصغر تدريجيا، يقول إن الوعي الحضاري والوعي الناس يزيد ويصبح أقوى، هذا الواقع يجعل خطوط الصدع أكثر وضوحا. ثالثا، باعتباره نتيجة للأزمة الهوية الناجمة عن العولمة هناك يظهر وجود فجوة ما في معظم الأماكن يشغلها الهوية الدينية في الشكل الأصولي، هذا الإحياء يوفر أساسا جيدا للهوية والالتزام الذي يتجاوز الدول القومية ويوحد الحضارات. رابعا، وصلت الحضارة الغربية أوجها من حيث السلطة في نهاية الحرب الباردة، ولكن غير الغرب في المستقبل لها زيادة الإرادة والرغبة في مواجهة وتحدي الحضارة الغربية بطرق غربية. خامسا، الكيانات الثابتة. يعتقد "هنتنغتون" أن قادة الفكر والسياسة في المجتمعات غير الغربية يتصرفون اتجاه التأثير الغربي بشكل من الأشكال الثلاث: إما رفض العصرنة والتغريب، أو قبول الاثنين معا، أو رفض التغريب وقبول العصرنة، ويرى أن الكل أصبح لا يهمه من الحضارة الغربية سوى الجانب القوي من الاقتصاد والتكنولوجيا.

عند كلامه عن مستقبل العلاقات بين مختلف الحضارات من جهة والغرب من جهة أخرى يضع الإسلام في خانة الصراع والتوتر مع الغرب. يعلل سبب وضعه للحضارة الإسلامية في موقع الصراع مع الغرب بان الحضارة الإسلامية يعزيها إلى النمو الديمغرافي الكبير والحيوية والانبعاث الثقافي والحضاري، والجانب الخطير هو تمسكها بالدين الإسلامي، فأبرز المخاطر التي يمثلها الإسلام من خلال النمو الديمغرافي الذي يتمتع به والثروات الطبيعية التي ينعم بها وخصوصا الحركية والاجتماعية التي تحدثها الحركات الإسلامية. والتي ستجعل في الأخير من يكون بيدهم الحكم في العالم الإسلامي، ويؤكد أن الحضارة الإسلامية أخطر من الحضارات الأخرى، فهي الوحيدة التي جعلت الغرب مهددا في وجوده مرتين عبر التاريخ، وهي تهدده اليوم عن طريق زيادة عدد المهاجرين والنمو الديمغرافي الكبير، وأخطر ما يصف به الحضارة الإسلامية أنها تمثل الحدود الدموية في العالم.

ويصرح بأن الصدمات الخطيرة المرتقب وقوعها في المستقبل سيكون سببها تشابك الكبرياء الغربي واللا تسامح الإسلامي وإرادة فرض الذات الصينية. وأهم ما ينصح به الغربيين لمواصلة هيمنتهم على العالم: هو ضمان استمرار الهيمنة التكنولوجية والعسكرية الغربية على الحضارات الأخرى وكبح تنمية القوة العسكرية التقليدية وغير التقليدية للدول الإسلامية، هنا يظهر الدور الجيوسياسي الكبير للإعلام من خلال محاربته لكل ما يمد بصلة للإسلام، التأثير الكبير للإعلام يظهر جليا من خلال سياسة تعتيم الإعلام الإسلامي وتغريبه ومحاولة طمس هوية الفرد وإدخال الفرد المسلم في دوامة التشكيك بالدين والقيم والأخلاق وهذا ما تعمل عليه مواقع التواصل الاجتماعي.

ولعله من أحد الأسباب التي أدت إلى الانحلال الأخلاقي والديني في الدول الإسلامية هو ضعف المنظومة التربوية (عريف 2017، ص.ص 78)، فهي التي تبني وتقوي الترابط المجتمعي في القالب التربوي الصحيح، إضافة إلى قلة المدارس القرآنية وتراجع حفظ القرآن واستعمال المصاحف، حيث أصبح الطفل منفتح على ثقافة الغرب ومنفتح على استعمال التكنولوجيا بكثرة وهذا ما أدى إلى عزوف كبير للأطفال إلى الدين والانغماس في التكنولوجيا هذا ما يؤدي إلى عملية تحويل ولائهم منذ الصغر.

للإعلام أثر سيء على الأطفال، من خلال الرسوم المتحركة التي ترسخ الإساءة للعقيدة في غفلة من الأولياء، فمثلا ما يحصل في برنامج (ميكي ماوس) هذا الفأر الذي يعيش في الفضاء، ويكون له تأثير واضح على البراكين والأمطار فيستطيع أن يوقف البركان!! وينزل المطر ويوقف الرياح، ويساعد الآخرين، فلماذا يجعل

هذا الفأر في السماء؟ ولماذا يصور على أن له قوة في أن يتحك بالظواهر الأرضية، إن تلك التلميحات الخبيثة أهدافها واضحة للجميع ولا تتطلب إجهادا ذهنيا لمعرفتها، زيادة على ذلك تشويه صورة المتدينين أو المسلمين عموما (سواء قصدوا أو لم يقصدوا)، معيدين الكرة في استخدام أحد رموز الدين والشخصية العربية المسلمة، فهم يصورونه بأنه شرير، ومختطف، وسارق ويحب الشر ويقوم بالتفجير، ويلاحق النساء، أو بمعنى آخر (إرهابي)،كما أن ألعاب (البلاي ستايشن) التي يدمن عليها بعض الأطفال وحتى الكبار تتضمن إساءات واضحة للإسلام، يحاول صانعوها تشويه صورته في أذهان الأطفال بعيدا عن رقابة الوالدين، ومن أبرزها لعبة سوقت من النمسا وأخرى لشركة سوني، ثم تم سحبهما من السوق بعد أن افتضح أمرهما بعد عدة تقارير. (لعرباوي 2016، ص.ص 263)

بخصوص المكون العقدي للهوية، فإنه يتضرر كثيرا بفعل ما يبثه هذا الإعلام من تشويه صريح وواضح ومقصود للدين الإسلامي وعباداته ومعتقداته وثقافته، ما يؤدي إلى زعزعة عقيدة الشاب المسلم، والتشكيك في صحتها، والتنقيص من قيمتها. فتكونت في ذهنه صورة قاتمة في غاية السوء عن أهم مكونين للهوية وهما الدين والتراث، وهو ما يؤدي إلى ازدراء الذات وتحقيرها، وانسلاخ الشباب من مقومات هويتهم والارتباط بجماعات أخرى تحمل ثقافات مضادة، والتفاعل معها وتبني مكونات هويتها، واتخاذها جماعات مرجعية في الثقافة والسلوك، يستمد منها قيمه، ويتبادل وإياها التعاطف والتأييد. وهو ما يكسبه هوية أخرى بديلة، لا تجد أي سند في وسطه الاجتماعي. إن الحملات المنظمة ضد التراث الإسلامي (الجندى 1989، ص. 91)، والتي لم تنقطع أبدا عبر قرون كثيرة، لم تحقق غاياتها، على الرغم من أن القائمين عليها حرصوا على ضرب المكون الفكري للأمة الإسلامية، بتشويه صورة التعاليم الإسلامية بالتحريف والاجتزاء وتأويل الكلام وتغيير مقصد الخطاب حتى يزهد الناس في مفاهيم الشريعة الإسلامية.

هذه الحملات المنظمة لم تستطع أن تؤثر في صورة الإسلام عبر التاريخ إلا بشكل محدود، واليوم تتواصل الحملة بشكل أكثر ضراوة مع الإعلام الجديد، والاستراتيجيات التي يبذلها خصوم الإسلام خاصة في العالم العربي والساعون إلى تشويه المرجعيات الإسلامية وضربها، وهي تعتمد الربط الشرطي بين علماء الإسلام وبين مسائل مكروهة عند الناس، كالإرهاب والتكفير والدماء واحتقار المرأة، وعدم المساواة بين الناس، وغيرها.

ونشهد في هذا الصدد كثافة الحملة على علماء المسلمين، والمقصود ليس العالم ذاته، وإنما من خلاله يتم هدم المرجعية الدينية، ومن ثم سهولة اختراق عقول المسلمين وتوجيههم إلى أفكار بعيدة عن الأديان كالإلحاد والعلمانية الشمولية وغيرها. ومواقع التواصل الاجتماعي تعتبر ساحة لهذه الحملات (هادماجي، 2017، ص. 9)، فوجود الجماعات والتيارات المتطرفة والإرهابية الغارقة بالتكفير وإزهاق الأرواح وتفجير الآمنين والممتلكات، وما يصاحب ذلك من سهولة عرض تلك الجرائم عبر الإعلام الجديد، تأتي حركة التشويه المتعمدة بربط هذه الجماعات والتيارات بالسلفية تارة، وبالسنة تارة، وببعض العلماء تارة أخرى، فيجدون من يتلقف تلك الدعوات ويقتنع بها ثم يصاب بردة فعل عكسية تجاه الدين وعلمائه وتاريخه، فخصوم الإسلام يوظفون بشكل خبيث كلام العلماء ويجتزئون نصوص التراث ويوردون نصوصا أصولية في غير سياقها لأجل زعزعة عقيدة المسلم وضرب المكون العقدي في الهوية الجزائرية والعمل على تشويهها. (مسعودي، 2017، ص.ص 21-23)

4. أثر جيوسياسية الإعلام على القيم الثقافية

يقول مالك بن نبي عن الثقافة في كتابه "ميلاد مجتمع": الثقافة هي المحيط الذي يصوغ كيان الفرد، كما أنها مجموع من القواعد الأخلاقية والجمالية. (بن النبي 1986، ص. 36)، إن التأثير الثقافي أصبح واضحا من خلال هيمنة الإعلام الجديد، وأصبحت ثقافة الكثير من الفئات الاجتماعية تتشكل بعيدا عن الثقافة الأصلية والقيم الاجتماعية السائدة، بل خاضعة لهذا الوارد الذي يسعى بقوة لتغيير الثقافات المحلية وتعويضها بالثقافة المعولمة.

تثبت نتائج الواقع أن الكثير من القيم في العالم العربي الإسلامي تغيرت بفعل موجات التوجه الجيوسياسي الإعلامي الذي اجتاحتها مجتمعاتها نتيجة للتطور التقني الذي عرفته ترسانة الإعلام والاتصال، وخاصة بعد ظهور مصطلح العولمة، ومن أبرز هذه التغيرات أو ما نعبر عنها بالتأثيرات التي أصابت المجتمع بكل فئاته، ومن أبرز هذه التأثيرات:

ا. **التأثير الفكري:** عرفت كثير من المجتمعات تغيرات في عناصرها الثقافية كالعادات والتقاليد (محلب 2016، ص.ص 71-75)، من خلال عملية هدم الأفكار والقناعات الثقافية التي تم تنشئتها عليها ثم البناء على أنقاضها أفكار جديدة، بالاستعانة بالتكنولوجيا الحديثة والتي تعتبر عامل قوي في عملية الهدم والبناء.

ب. **التأثير السلوكي:** يسعى الإعلام إلى تغيير الأفكار المغروسة في ذات الإنسان لكي تعبد أمامه الطريق من أجل تغيير السلوكيات، والتي يصورها في صفتين: (يحياوي إ.، 2019، ص. 37)

مظاهر ثقافية تعبر عن واقع الإنسان الحي والمتفاعل مع الوجود، والذي يبحث عن الحقيقة والسعادة رافضا العيش في الماضي، وبفعل هذه الرسالة الفكرية يجر الكثير من فئات المجتمع إلى الاقتناع والسعي من وراءه للبحث عما يشبع حاجياتهم ورغباتهم.

رسائل سلبية مثبطة للقوى الكامنة لدى الأفراد، والتي تدعوا إلى الإحباط والتشاؤم ما ينتج عنه تعطيل لدائرة الإبداع واحتكار عقول الشباب.

ومن خلال عملية التفاعل والاستمرارية تختفي السلوكيات الذاتية التي تحمل ثقافة معينة، وتظهر سلوكيات أخرى تحمل ثقافة جديدة.

ج . **التأثير العاطفي:** ساهمت الرسائل الإعلامية في تغيير النظرة المتكاملة والمتوازنة للحياة وللكون، وجرت الإنسان إلى متاهة الشقاء والعنف والاضطراب بسب النظرة المتغيرة لجمالية الحياة والكون. وكثير من الفئات الاجتماعية اليوم تعيش التعاسة والشقاء وخاصة الشباب الذي وفرت له وسائل الإعلام الجديدة كل المتعة وحققت له كل ما يرغب فيه، إلا انه في الواقع يعاني من إحباط معنوي ومن تعاسة كبيرة لأنه لم يرى جمالية الكون والنفس التي تعيد له توازنه النفسي والوجداني. (يجياوي، ص. 33)

يتم دراسة الهوية الثقافية و العولمة و أزمة الاختراق الثقافي على أنها قضية تطرح نفسها بقوة في ظل تحولات العولمة (الغامدي 2009، ص. 78)، والتي تثير أزمة اختراق الثقافة والنظر إلى هذه الأخيرة يكون من منطلق "أنها ظاهرة تتعرض لها مختلف الثقافات الوطنية بما في ذلك ثقافات أوربا، ناهيك ثقافات البلدان الواقعة تحت نفوذ الغرب وهيمنته بلدان عالم الجنوب"، ففعل اختراق الثقافة هو سلب للخصوصية وهو فعل اعتداء على الآخر، حيث أن الاختراق الثقافي يستهدف اختراق الهوية الحضارية للأمم والشعوب قصد احتلالها

ذهنيا وثقافيا لغرض التوسع الاستعماري الحديث، من خلال اختراق المنظمات المكونة لثقافتها منظومات التفكير والتمثيلات ومنظومات القيم ومنظومات التعبير ومنظومات السلوك. وبشكل عام يتضمن مفهوم الاختراق الثقافي الأبعاد التالية:

تبعية ثقافة الدولة المستقبلة لثقافة الدولة المرسلة، واعتمادها عليها اعتمادا بنيويا في إنتاج القيم والمعاني والأفكار والمعارف التي تحتاج إليها، سواء أكان ذلك بسبب تفوق ثقافات الدولة المخترقة وقدراتها أم بسبب انعدام الثقة في النفس لدى الثقافات المستقبلة.

وضع العقبات أمام الجهود التي تبذلها الدول النامية لتمثيل دعائم استقلالها الثقافي وضمان سيادتها.

تعطيل الإرادة الوطنية للدولة التابعة ثقافيا وفقدان سيطرتها على إعادة تكوين ذاتها وتجددها. ويمثل التحالف بين الثقافة والتقانة ذروة القدرات التي تقدمها العولمة في الحقل الثقافي، فهي تمكنت فعليا من اختراق الحدود الثقافية انطلاقا من مراكز صناعة وترويج النماذج الثقافية ذات الطابع الغربي، وألغت بالتالي إمكانيات التثاقف كخيار يعني الانفتاح الطوعي للمنظومات الثقافية المختلفة عبر آليات التأثر والتأثير، والتفاعل المتبادل الذي يحدث مثال على ذلك دور الإعلام في التأثير على الفرد من الناحية الأخلاقية والهوياتية. (محلب، 2016، ص. 79)

إن الاختراق الثقافي يمر عبر الوسائط الإعلامية المختلفة، المسموعة والمقروءة والمرئية، التي بات العالم الافتراضي يجمع بنها كلها وأكثر تأثيرا من سابقاتها. حيث استدل بهذا المعنى جوزيف ناي مساعد الوزير الدفاع الأمريكي السابق لبيان أهميته ومدى تأثير فعالية القوة الناعمة التي تستعملها الولايات المتحدة الأمريكية لاختراق المجتمعات والشعوب. يقول جوزيف ناي في تعريف القوة الناعمة: "هي القدرة على الحصول على ما تريد بدون الحاجة إلى استعمال الإرغام ولا الحاجة لدفع الأموال لأنه لا حاجة للاستخدام وسائل العنف ولا حاجة لدفع الرشاوي والإغراء بالأموال حتى تتمكن من التحكم بالأفراد و الشعوب بل يكفيك في ذلك أن تستخدم القوة الناعمة".

ومن أهم موارد القوة الناعمة هي الثقافة، والثقافة تنقسم إلى قسمين: الثقافة العليا وهي الثقافة النخب كالآداب والفنون والتعليم وعلى نحو ذلك. والثقافة الشعبية التي تهتم بإمتاع الجماهير وتسليتهم وترفيهم كالأفلام والمسلسلات والعروض الغنائية، لذلك يقوم الغرب وعلى راسها الولايات المتحدة الأمريكية بإغراق المجتمعات العربية الإسلامية والشعوب الأخرى بعدد هائل من البرامج الإعلامية بغرض تعزيز القوة الناعمة واختراق المجتمعات والشعوب عن طريق الإمتاع والتسلية وهذه الأفلام والبرامج والمسلسلات بطبيعتها مشحونة بالمبادئ والأفكار والمفاهيم والمنظومة الأخلاقية الأمريكية، لتتسرب هذه المفاهيم والأفكار إلى نفوس الأفراد. ولعل هذا المنظور هو ما أشار إليه زبيغنيو بريجينسكي في كتابه (رقعة الشطرنج الكبرى- السيطرة الأمريكية وما يترتب عليها جيواستراتيجيا)، في أن الولايات المتحدة الأمريكية تمتلك خمس قوى تنفرد بها عن القوى العالمية، وأكثر ما ينصب في هذا الصدد هو قوله أنها تمتلك القدرة على الإغراء الثقافي (BRZEZINSKI, 1997, pp. 7-10)، وهذا بلا شك بما تمتلكه من قدرات تكنولوجية لوسائل الاتصال، فضلا عن التدبير السياسي الاستراتيجي السلس.

إن الشكل الجديد من الصراع والذي يأخذ طابعا ثقافيا ودينيا وحضاريا، قد أفضى نوع جديد من التحولات التي شهدتها البيئة الأمنية الدولية، من تزايد الدور الذي تلعبه الأيديولوجيات والأفكار في تحديد السياسات الأمنية الخارجية للدول، أكد على انتقال القوة الصلبة (العسكرية) إلى القوة المرنة، والتي تعتمد على التأثير في الشعوب الأخرى، وهذا ما يساعدها على تحقيق مصالحها بطريقة عقلانية، أي أعظم المكاسب بأقل التكاليف. ومن أهم الأفكار التي أصبحت تبنى من خلالها السياسات الأمنية للدول القوية هي الديمقراطية كهدف أسمى تسعى من خلالها الدول القوية إلى تحقيق مصالحها المادية عن طريق اختراقها للدول الضعيفة. وهذا الاختراق يكون فكريا ثقافيا قيميا وهذا من خلال عملية غسل العقول وهندسة المجتمعات الإسلامية.

يلعب الإعلام في العالم العربي دور كبير في صناعة ثقافة الفرد، الذي بات متفتح على الثقافة الغربية، فقد تخلى عن ثقافته الأصلية وعاداته وتقاليده المرتبطة بهويته العربية الإسلامية، وهذا راجع لانغماسه في ساحة الحروب الإعلامية المغرضة (نواصرية، 2019، ص. 93)، الذي يتلقى الضربات المستمرة لأفكاره وقيمه، عبر مختلف الوسائل والوسائط الإعلامية وعبر المواقع الافتراضية، وبات يرى وجه جديد للعالم خاصة في طريقة الكلام واللباس والأكل والتفكير. وهذا ما يدعوا إلى ضرورة صد هذه الثقافات، فقد أصبح المجتمع العربي مخترق كليا في ضل غياب الآليات الإعلامية التي تصد هذا الغزو. مثال على ذلك التأثير الكبير الذي يلعبه المؤثرين على مواقع التواصل الاجتماعي، ما جعل منه فردا ومجتمعا قابلا للانسلاخ الثقافي.

خاتمة:

من خلال ما سبق يمكن الوصول للقول بأن الإعلام يتم توظيفه بصورة تهدد الأمن المجتمعي في الدول العربية الإسلامية. فنظرا لما حققه الإعلام المعولم من إلغاء للقيود والحدود والرقابة على حركة المعلومات والأفكار واختراق للحدود الجغرافية والسياسية وهندسته للمجتمعات، قد فرض تحديات جسيمة على امنها المجتمعي، إذ تحولت في الآونة الأخيرة إلى أداة تساعد الغرب في نشر الأفكار الهدامة والتحريض على العنف والكراهية، وفي نشر الشائعات وإثارة الفوضى والاضطراب، والتأثير على الوعي السياسي وتضليل الرأي العام، وهذا ما يمكن أن يطلق عليه الأدوار الشائكة والخطيرة لوسائل الإعلام.

إذا كانت كل نظريات جيوسياسة الإعلام الحديثة تجمع على تنامي دور وسائل الإعلام، فإنه من الضروري العمل على تعظيم الاستفادة من الفرص التي تتيحها هذه الوسائل خاصة الحديثة منها، باعتبارها أهم أدوات التنشئة السياسية وتشكيل الوعي لدى الأطفال والشباب بما يتوافق وقيم المجتمع العربي المسلم، وفي الوقت ذاته ضرورة ضبطها وتنظيمها بحيث لا تتحول إلى فضاء لنشر الفكر المتطرف والعنيف أو نشر الشائعات التي تهدد أمن المجتمعات واستقرارها، وهناك العديد من المقترحات التي يمكن أن تسهم في ذلك.

قائمة المراجع:

1. إبراهيم يحياوي. (2019). الآثار الثقافية (القيمية والسلوكية)، الجزائر: للإعلام الجديد على المستخدمين. مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية.
2. إسماعيل صديق عثمان. (2022). الأمن الفكري؛ أهميته ومهدداته وطرق ووسائل تعزيزه من المنظور الإسلامي، لبنان: مركز جبل البحث العلمي.
3. الغامدي ماجد بن جعفر. (2009). الإعلام والقيم. الرياض، المملكة العربية السعودية: مؤسسة خلوق.
4. الجندى أنور. (1989). في مواجهة الحملة على الإسلام. مصر: دار الإعتصام.
5. بن نبي مالك. (1986). ميلاد مجتمع -شبكة العلاقات الاجتماعية- ت. عبد الصبور شاهين، سوريا: دار الفكر.

6. بلمادي سفيان، ق. ه. (2020). Civilizational Action and Development of Modern Societies between Free Will, Determinism and Colonizability in Malek Bennabi's Approach to Civilization. المجلة الجزائرية للأمن والتنمية.
7. نواصرية حميدة. (مارس, 2019). أثر الإعلام الجديد على قيم الشباب دراسة ميدانية من منظور –الحتمية القيمية في الإعلام على شباب مدينة برج بوعريريج. الجزائر: مجلة أفاق العلوم.
8. هنتنغتون صامويل. (1999). صدام الحضارات وإعادة صنع النظام العالمي. الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان.
9. لغرس سهيلة، دور وسائل الاعلام في التنشئة الدينية: جريدة الخبر وصوت الغرب بالجزائر كنموذجين لغرس. (2019). دور وسائل الاعلام في التنشئة الدينية: جريدة الخبر وصوت الغرب بالجزائر كنموذجين، الجزائر: كلية العلوم الانسانية واالجتماعية - جامعة معسكر.
10. كريستوفر هادماجي.(2017). الهندسة الاجتماعية فن اختراق العقل البشري. دبي، الامارات العربية المتحدة: مؤسسة محمد بن راشد ال مكتوم للمعرفة.
11. لعرباوي نصير. (2016). صورة الإسلام والمسلمين في الإعلام الغربي. مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية.
12. محلب حفيظة. (04 01, 2020). الشباب والهوية الثقافية الجزائرية في ظل العولمة: بين جدلية القبول والرفض. مجلة الساورة للدراسات الإنسانية والاجتماعية.
13. مسعودي مجيد. (2017). سياسة فرنسا الممنهجة في القضاء على مقومات الهوية الوطنية في الجزائر. (مركز البحوث والدراسات حول الجزائر و العالم، مجلة دراسات حول الجزائر والعالم.
14. هنية عريف. (ديسمبر, 2017). اللغة العربية ومناهجها في ظل إصلاح المنظومة التربوية في الجزائر. (جامعة قاصدي مرباح ورقلة، المحرر) مجلة الأثر.
15. يحياوي نور الهدى. (2022). محاضرات في علم النفس الاجتماعي. تلمسان، جامعة تلمسان، الجزائر: كلية العلوم الانسانية والاجتماعية.
16. ZBIGNIEW BRZEZINSKI .(1997) .THE GRAND CHESSBOARD-American Primacy and Its Geostrategic Imperatives .Library of Congress Cataloging-in-Publication Data, ،USA: Basic Books, A Member of the Perseus Books Group.